

قال تعالى: "وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ" المائدة 50.

ومنه فإن التشبث بالشرعة المنهجية إنما يأتي خوفا من الوقوع في الضلال عن الحق وإتباع الأهواء، لذلك كانت حاجتنا إلى المنهج كحاجتنا إلى طريق يبين واضح مستقيم نسلكه في سبيل البحث عن غايتنا في هذه الحياة.

وعليه فإن المعرفة النقدية لا يمكن أن تستغني عن الإطار المنهجي الذي يؤطر رؤيتها ويضبط خطوطها ويوجه تفاصيلها نحو أهداف إستراتيجية تتحدد من حول النص المنقود، ومن هنا كان تعدد المناهج على اختلاف صورها من منهج انطباعي، تاريخي، بنيوي، أسلوبي، تفكيكي، نفسي، واجتماعي.

فكان هذا الأخير - المنهج الاجتماعي النقدي - محل دراستنا هذه. والذي بدوره لم يكن هباء منبثا أو أنه خلق من العدم، إنما جاء نتيجة لمخاض دام طويلا، يُرجّح هذا وذاك، فحضع لكثير من الرؤى والتنظيرات والتي قوبلت بانتقادات تراوحت بين مؤيدة ومعارضة. وبهذا فهو منهج نقدي قديم من حيث التنظير، صاحب المرجعيات والإرهاصات الضاربة في عمق الفكر اليوناني، حديث من حيث التطبيق.

تميز السرد الروائي الذي زاحم - على حداثة نشأته - الأجناس الأدبية على تباينها بفضائه الفكري والجمالي، ونال النصيب الوافر من العناية والاهتمام، وعليه فقد حظيت الرواية بعناية النقد الجزائري ذلك يعود أساسا إلى طبيعة النهج الذي سار فيه فكر الجزائر بعد الاستقلال، إيمانا من معظم الأدباء، بأن الرواية أكثر ألوان الأدب ترجمة لذلك الفكر.

إن الاشتغال على هذا الجنس يستوجب القراءة المتأنية، والاطّلاع الواسع على مختلف المنجزات النقدية المعاصرة التي حاولت استنطاق الواقع بكل حيثياته وتفاصيله، هذا ما حققه الاتجاه النقدي الاجتماعي وقد كان موضوع بحثنا هذا: "تجليات المنهج الاجتماعي في الرواية الجزائرية" متخذين من رواية "ريح الجنوب" ل: "عبد

الحميد ابن هذوقة" أمودجا للدراسة التطبيقية. فكان ميلنا للنص الروائي إثارة منا للحديث عن قضايا اجتماعية وطنية تهم كافة أطراف المجتمع، هذا وبدافع:

1. رفع ستار الغموض عن هذا الجنس الأدبي الحديث.
2. العمل على استكناه المتن الروائي وما ينطوي عليه من علاقات.
3. الرغبة في الاطلاع على المستجدات التي عرفت الساحة الأدبية إن في الكتابة الروائية أو في الممارسة النقدية.
4. الوقوف على طبيعة العلاقة القائمة بين الأدب والسوسيولوجيا.

ولتحقيق هذه الأهداف تحلق في أذهاننا مجموعة من التساؤلات نذكر منها ما يلي: فيما تتمثل العلاقة القائمة بين الأدب والمجتمع؟ هل انطلق المنهج الاجتماعي من العدم أم كان نتيجة إعدادات وإرهاصات؟ بما تميز هذا المنهج؟ هل تعرض إلى التأييد أو المعارضة؟ وإلى أي مدى وصل صدق هذا المنهج؟.

ولقد ارتأينا أن يكون المنهج الوصفي التحليلي أنسب لهذا البحث من حيث التعرض لمحتويات الرواية والسيح في كنهها، واستنطاق ما بين سطورها.

وقد حتم تعدد المباحث وتمايزها ضرورة الالتزام بالمخطط المقترح منذ البداية، وأن يوزع البحث على ثلاثة فصول يتضمن كل من الأول والثاني ثلاثة مباحث وهما فصلان نظريان، أما الفصل الثالث يضم الدراسة التطبيقية بأربع مباحث يتصدر ذلك مقدمة ومدخل جاء كتمهيد للموضوع وتعقبها خاتمة ثم قائمة المصادر والمراجع.

أما الفصل الأول فخصص المبحث الأول منه للحديث عن مفهوم الأدب السوسيولوجي لغة واصطلاحاً والعلاقة بينهما، وخُصص المبحث الثاني لمراجعة إرهاصات المنهج الاجتماعي السوسيولوجي ومهاده النظري وذلك لتتبع مراحل مخاضه من منظور غربي وعربي أيضاً. ليعرض المبحث الثالث منه أهم الخصائص التي تميز بها هذا المنهج النقدي.

والفصل الثاني أفرد مبحثه الأول لتقديم صورة عن المنهج الاجتماعي النقدي في إطاره الغربي معرجا على أهم الرواد الغربيين، بينما تناول المبحث الثاني التجربة العربية في النقد الاجتماعي مروراً على الرواد القدامى وصولاً إلى المحدثين خاصة النقاد الاجتماعيين الجزائريين. ثم رصدنا أهم المآخذ والسقطات التي تعرض لها هذا المنهج من خلال المبحث الثالث.

أما الفصل الثالث والأخير فقد عالج على العموم الدراسة التطبيقية، فأتى المبحث الأول يعرض نبذة مختصرة عن حياة شخصية الروائي "عبد الحميد ابن هذوقة" يتلوه المبحث الثاني يحمل ملخصاً عن رواية "ريح الجنوب". وقد احتوى المبحث الثالث على العلاقة بين المجتمع والنص الروائي، ثم المبحث الرابع وهو الدراسة التطبيقية على الرواية من خلال تحليلها واستخراج المظاهر الذي يتجلى فيها المنهج الاجتماعي من خلال دراسة اجتماعية العنوان والشخصيات...

ثم جمعت خاتمة هذا البحث جملة من النتائج التي أفضت إليها الدراسة لعلها تشكل موجزاً للمراحل التي سار فيها المنهج الاجتماعي النقدي بشكليه العربي والغربي عموماً والجزائري خصوصاً.

والدراسة بوصفها متابعة لنص الروائي ونقده، ولأنّ ذلك يقتضي قدراً كافياً من المادة وما تكلفه من جهدٍ جمعا وتصنيفا واستثماراً. فإنّ البحث لم يخلو من الصعوبات، منها:

1. أنّ الأدب لم يحظ بدراسات كثيرة ومتنوعة تفتح المجال الواسع أمام الباحثين، لذلك يضطر الباحث إلى إنفاق جهد مضاعف.

2. صعوبة التنقل بين النظرية والممارسة التطبيقية قد يوقع في مزالق غير متوقعة.

3. طبيعة العلاقة بين الأدب والسوسيولوجيا المعقدة وما تستدعيه من قدرات فلسفية.

واعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة "بين الواقعية والالتزام". وقصى الحسين: سوسيوولوجيا الأدب: "دراسة الواقعية الأدبية على ضوء علم الاجتماع".

ولا يسعنا في النهاية إلا أن نتقدم بخالص الشكر وعميق التقدير إلى كل الذين ساعدونا على إنجاز هذا البحث منذ البداية وحتى اكتمل على هذه الصورة، وفي مقدمتهم الأستاذة الدكتورة: "مخلوف حفيظة" التي تفضلت بقبول الإشراف على هذا البحث، بدون تردد ولم تبخل علينا فوق ذلك بنصائحها وتوجيهاتها وبمعاملة تسودها أخلاق عالية.

كما لا يفوتنا أن نتوجه بالشكر إلى السادة أعضاء اللجنة الموقرة، مقدرين ما بذلوه من عناء في القراءة ومن أجل التنبيه والتوجيه.

وإنَّ ما يشوب البحث من عثرات إنما يعود أصلاً إلى إمكانياتنا التي لم ترق بعد إلى ما يطمح إليه كل طالب علم.

ونسأل الله التوفيق والسداد فيما سيؤول إليه البحث.